لا .. لتأميم الصحافة

☐ طلعت يونان

ترفض المعارضة – في صحفها – أن تتبع المؤسسات الصحفية القومية في ملكيتها مجلس الشورى، وتطالب – علنا – بأن تتحول إلى مؤسسات حكومية تابعة للسلطة التنفيذية .. أي تطالب المعارضة بتأميم الصحافة القومية!

وتأميم مؤسسة من المؤسسات معناه انتقال ملكيتها من دائرة رأس المال الخاص إلى دائرة رأس المال العام، ومعناه بالتالي انتقال إدارتها إلى أجهزة الحكومة المختصة بنوع نشاطها ودائرة عملها، ومعناه أخيرا توجيه فائض دخلها إلى ميزانية الدولة التي هي حصيلة المال العام.

هذا ما نرفضه باسم جميع الصحفيين في مصر .. وباسم حرية الصحافة المصرية. ونتمسك بملكيتها لمجلس الشورى، وهو التنظيم الشعبي للأسرة المصرية كلها .. أي في الوطن كله .. والوطن كله.

ومجلس الشورى ليس فرعا من جهاز الحكومة، بل العكس هو الصحيح .. أن الحكومة ممثلة في مجلس الشورى.

أكثر من هذا .. فإن مجلس الشورى لا يملك الصحف ملكية شاملة بالمعنى المفهوم .. لأن الملكية في الواقع نوعان: ملكية معنوية، وملكية مادية.

ومجلس الشورى يملك الصحف القومية معنويا، ولكنه لا يملكها ماديا.

إنه يملك «الحق» .. مجرد الحق في إصدار الصحف القومية أي أنه يملك رخصة إصدارها .. والإشراف على سياستها.

ولكنه لا يملك الصحيفة «ماديا» لأن الملكية المادية في حقيقتها هي «الانتفاع».

ومجلس الشورى لن ينتفع بهذه الصحف في غير دائرة المبادئ والأفكار. أما الذي ينتفع بملكيتها المادية فهم عمال هذه الصحف وموظفوها ومحرروها وكتابها .. هؤلاء الذين نص القانون على حقهم في أن يحصلوا مباشرة على نصف فائض ربح الصحيفة التي يعملون بها مباشرة، بينما خصص النصف الثاني من فائض الربح لعملية تدعيم وتوسيع صحيفتهم ودفع تقدمها – أي أنهم يحصلون على كل ثمار ملكيتها المادية، نصفها بطريق مباشر والنصف الثاني بطريق غير مباشر.

ومن هنا نرفض – نحن رجال السلطة الرابعة – مطلب المعارضة بتأميم المؤسسات الصحفية القومية.

لأن الملكية المعنوية لهذه المؤسسات التي تتعلق بالمبادئ يملكها مجلس الشورى .. أي يملكها الشعب.

والملكية المادية قد تحولت إلى شيء أقرب ما يكون إلى منظمات التعاون .. أي تحولت كل مؤسسة صحفية قومية إلى مؤسسة تعاونية يحصل كل واحد من أفرادها على نصيب من ربحها يتناسب مع ما يضيفه إلى رأسمالها .. ورأس المال هنا عمل وجهد.

إننا نتمسك بأن تصبح الصحافة القومية المصرية ملكا لمجلس الشورى .. لأنه الخلاصة النيابية لوحدة الشعب في الأسرة المصرية .. الأسرة التي تمثل إجماعه على كل أهدافه وأمانيه.

والحكومة هي الإرادة المنفذة لهذه الأهداف والأماني .. تتلقاها من الشعب وتحولها إلى تخطيط ثم إلى خطط .. ثم إلى مشاريع محددة مفصلة.

والصحافة هي الرقابة اليومية والأبدية على الحكومة .. ولهذا نتمسك بأن يملكها الشعب .. حتى تكون مهمتها أن تساعد على بلورة الأهداف والأماني المستقرة في ضمير الشعب .. ثم تساعد على تعبئة الجهود ودفع التنفيذ تحقيقا لها .. ثم تساعد في التوجيه والرقابة حماية لأهداف الشعب وأمانيه من أن تتعثر أو تتأثر باعتبارات العجز أو الغرض!!

.. ورسالة من تحت الماء!

☐ سيد نصار

أعرف أنه من الممكن أن تنشأ علاقة إنسانية بين الإنسان وبعض الأشياء .. ذلك أن بعض هذه الأشياء يرفض أن تكون مجرد جماد بدون شعور أو إحساس .. ولكني حيانا في حاجة لتجربة هذا الإحساس. وقد أحسسته عندما وقفت هذا الأسبوع أمام موظف الشهر العقاري بالجيزة، لأوقع على بيع سيارتي القيات. فتساقطت بالرغم مني بضع قطرات من دموعي، وأنا أنهي هذه العلاقة التي بدأت قبل أربع سنوات. لقد شعرت أنني أفارق على الرغم مني كائنا حيا يصاحبني طوال النهار.

صديق ودود لم يسيء لي يوما، وكان رهن إشارتي .. صديق لم يدفعني يوما لأن ألجأ إلى من لا يرحم من سائقي التاكسي أو أصدقائنا من الأغبياء الجدد ممن يسمون أنفسهم ميكانيكي السيارات. ولا أعرف هل كان ذلك من حسن حظي أو أنها كانت أصالة وعراقة من سيارتي. لقد كنت أشعر في بعض الأوقات بضرورة الانحناء وتقبيل عجلة القيادة من فرط إعجابي بها. واستجابتها لأية حركة من يدي أو قدمي. لم أخش أن يهينني أحد بالفوس أو الخوف وأنا أفعل ذلك على مرأى ممن يجلسون بجواري .. لن أحكي ماذا بعتها وكيف؟ فذلك أمر لا يعني انشغال القارئ به. ولكني احكي فقط عن مشاعر الحنين وأنا أغادرها لآخر مرة .. لأتركها إلى صاحبها الجديد، ذلك أننا جميعا نشترك في مشاعر انسانية متشابهة. فقد تبادل كل منا: البائع وهو أنا .. والمشتري وهو عمدة من عمد الريف الأماكن .. ركب هو السيارة. وركبت أنا قدمي .. ووقفت انتظر التاكسي، وأنا أنتظر وقفة أخيرة عليها! لقد شعرت أنها بادلتني النظرات .. غير أن نظراتها كانت تحمل لي بعض العتاب لأني بعتها بالرغم من أنها لم تضايقني يوما، وكذلك كانت نظراتها يملؤها الأسى لي من بعدها .. فقد شعرت بما سيجرى وبحدث في بدونها .. لذلك كانت محقة في استجابتها لسائقها الجديد .. فقد توقفت أكثر من مرة على بعد خطوات مني، وهي التي لم تتوقف قط من قبل! وأخيرا كان لابد من الفراق!

وانتظرت ساعة وساعتين حتى يئست من الحصول على تاكسي .. وكان منظر الاتوبيس يغني عن مجرد التفكير في ركوبه، خاصة أن درجة الحرارة كانت تقترب من الأربعين حسب اعترافات هيئة الأرصاد الجوية .. ولكنها كانت أقرب إلى الـ ٧٠ حسب إحساسي الشخصي بها، وعرفت من أحد المارة الخبرين أن هذه ساعة «القيلولة» أي ساعة الظهر، وفيها يفضل سائق التاكسي .. يفضلون الجلوس على المقاهي أو حول الأكشاك لشرب البارد والساخن .. على أن يعملوا خلال هذه الساعات .. وغادرت المكان عبرة الشوارع .. عابرا أكثر من جسر على النيل .. لأصل في النهاية إلى مكتبي بالطابق الثامن على النيل .. وأغلق باب مكتبي من خلفي لأبكي أكثر مما سبق أن بكيت على عزيز من قبل .. وجلست أكتب هذه السطور .. التي منذ افترقنا أعاني من كابوس يؤرق منامي عند فجر كل ليلة: كيف سأصل إلى مكتبي؟ وكيف سأعود إلى منزلي دون أن أتعرض لإهانة سائق التاكسي أو الموت حنقا داخل الأتوبيس؟ لقد اضطربت كل مواعيدي .. وأصبحت «فاقد الإحساس بالزمان والمكان» .. وإني لم أفقد بعد الإحساس بالانتماء للإنسان .. لما حدث ويحدث ليس ذنبي .. إنما هو ذنوب متخلفة ومتخلفة من مرحلة سابقة .. بدأت في توزيع سلبياتها علينا جميعا بالعدل والقسطاس وما حدث لي هذا الأسبوع كان نصيبي المؤجل .. وأعرف أنه لا مفر ولا مهرب ولا علاج له .. إلا الصبر .. والله مع الصابرين!